



## الغنوصية في الشعر الحديث أدونيس وخزعل الماجدي أنموذجاً

أ.م.د. حزام بدر حسين

جامعة النهريين/ كلية العلوم السياسية

Email: hutham.bader@yahoo.com

Mob.07702716181

تاريخ الاستلام : 2022-01-22

تاريخ القبول : 2022-03-12

### ملخص البحث:

يتعرض هذا البحث لفهم مصطلح الغنوصية وأصل الكلمة ، فضلاً عن تأثير الشاعر الحديث بالشعر الغنوصي ، وإذا عدنا إلى المعنى اللغوي للغنوصية : فإن المعنى ليس عربياً ، وإنما هو ترجمة حرفية للكلمة اللاتينية Gnosticism وهو مصطلح فلسفي يوناني مشتق في الأصل من كلمة غنوسيس ومعناه في اليونانية ((المعرفة)) ثم اتخذ المعنى الاصطلاحي له ، والدارس لهذا المصطلح يجد أنه ذكر له أكثر من تعريف وذلك يرجع إلى غموض الكلمة نفسها .

ولا يستطيع دارس الشعر بشكل عام والشعر الصوفي بشكل خاص انكار قيمة التأويل الذي به فقط نستطيع فهم معاني الشعر وخفاياه ، فهناك من يرى أنّ التجريبتين الصوفية والشعرية تتشابهان في جوانب متعددة، وعرض كثير من الباحثين وجوها منها في دراساتهم حول علاقة التصوف بالشعر ، ولعل التشابه الأكثر حساسية ما تسعى إليه كل من التجريبتين ، فكلاهما محاولة للإمساك بالحقيقة والوصول إلى جوهر الأشياء . وعلى هذا فقد قام الباحث برصد التجربة الشعرية الغنوصية لدى كل من الشاعر العربي أدونيس في مجموعته الشعرية (هذا هو اسمي) ، والشاعر العراقي خزعل الماجدي في مجموعته الشعرية (خزائل) ؛ وكان السبب في اختيار هاتين المجموعتين بالذات : كون الشاعر أدونيس نشر مجموعته الشعرية (هذا هو اسمي) بعد أن



أكمل الأربعين من عمره وأصبح له أسم علويّ هو (عليّ) ، ونستطيع أن نعرف مدلولات هذا الاسم لدى الطائفة العلوية ، والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتصوف والغنوصية ، بينما كتب الشاعر (خزعل الماجدي) هذا المجموعة أيام الحرب العراقية الإيرانية واحساسه العارم باقتراب الموت ، وقد أكد أكثر من مرة هذه الحقيقة في كتابه (العقل الشعري) كما أكدها أيضاً في مقدمة مجموعته الشعرية (خزائل).

الكلمات المفتاحية (الغنوصية ، الشعر ، أدونيس ، خزعل الماجدي)



Receipt date: 2022-01-22

Date of acceptance: 2022-03-12

#### Abstract

This research focuses on the meaning of the term Gnosticism and the genesis of the word, as well as the influence of Gnostic poetry on the modern poet. The origin of the word Gnostic, it's not Arabic, it's translated to the Greek world Gnosticism and its meaning knowledge. The idiomatic meaning of the word was adopted, and those seeking the explanation of this term will discover that it has multiple definitions due to the word's ambiguity. A scholar of poetry in general, and Sufi poetry in particular, cannot ignore the importance of interpretation, which is necessary to comprehend the meanings and mysteries of poetry. According to some, Sufi and poetic experiences are similar in numerous ways, and numerous researchers have discussed these similarities in their studies on the relationship between Sufism and poetry. As a result, we have followed the Gnostic poetic experience of both the Arab poet Adonis and the Iraqi poet Khazal Al-Majidi in their respective poetry collections (Khazael). The reason for focusing on these two groups, in particular, is that the poet Adonis published his poetry collection (This is My Name) after reaching the age of forty, and he was given the Alawie name (Ali), which has meanings in the Alawia sect, which is strongly tied to Sufism and Gnosticism. While the poet (Khazal Al-Majidi) composed this collection amid the Iran-Iraq war and his overpowering sense of impending death, he acknowledged this fact numerous times in his book (The Poetic Mind) and the introduction to his poetry collection (Khazael).

Keywords: Gnosticism, poetry, Adonis, Khazal Al-Majidi



المقدمة:

يعدّ العمل في ميدان الدراسات الصوفية من الأعمال الصعبة على الرغم من جهود العديد من العلماء في العمل على هذا الميدان ، والمهتم بالتصوف يجد أنّ نشأة التصوف وتشكيل العقائد الصوفية بحاجة ماسة إلى الدرس والتمحيص ، فضلاً عن تأثر الشعراء على مر العصور بهذه العقائد وتأثيرها على شعرهم ، أحاول في هذا البحث توضيح مصطلح الغنوصية ، وأصل هذه الكلمة، وكيف أنّ الفكرة الأساسية في الغنوصية تقوم على نظرية الإشراق وادعاء استمرارية الوحي ، وتلقي المعلومات مباشرة من الله تعالى وأجد أنّ معنى هذه الفكرة قريب من معنى الكشف ، والفلسفة الغنوصية هي فلسفة قديمة برزت في فكر بعض الفرق المعاصرة ، لذلك كان لابد من بحث جذورها في الفكر اليوناني الفلسفي ، لبيان العلاقة بينهما ، إذ إنّ الحركات الغنوصية عادت إلى الظهور ؛ فكان لدراسة أصولها وعلاقتها بالفلسفة اليونانية القديمة الأهمية الكبرى ، هذا فضلاً عن دخول هذا المفهوم في الشعر الحديث .

هناك تشابه بين التجريبتين الصوفية والشعرية في العديد من المجالات ، ومن الباحثين من عرض لأكثر من وجه من وجوها في دراساتهم حول علاقة التصوف بالشعر ، ولعل التشابه الأكثر حساسية - كما يرى صلاح عبد الصبور - هو " ما تسعى إليه كل من التجريبتين ، فكلاهما محاولة للإمساك بالحقيقة والوصول إلى جوهر الأشياء " (الغويل، ٢٠١٥: ٨٣).

يرى الحلاج أنّ جوهر الذات الإلهية في الحب ، فإنّ "الخالق" أحب ذاته قبل أنّ يحب الخلق في وحدته المطلقة ، والحب تجلّى فيه ، لكنه (أي الحلاج) يفرق بين الطبعيتين الإلهية والبشرية ، إذ إنهما لا تتحدان بل تمتزجان، وإذا عدنا للشعر الغنوصي فهو يتجلّى بالحب أيضاً ، وعلى هذا فقد قام البحث برصد التجربة الشعرية الغنوصية لدى كل من الشاعر العربي أدونيس في مجموعته الشعرية (هذا هو اسمي) والشاعر العراقي خزعل الماجدي في مجموعته الشعرية (خزائيل) .

ماهي الغنوصية :

إنّ مفهوم الغنوصية قد يكون مفهوماً واسعاً لا يقوم على إيديولوجيا دينية ، أو مذهبية ، وقد ظهرت بداياته مع مطلع القرن الأول الميلادي بتأثيرات من الأفلاطونية ، والتعاليم الهرمزية التي تُنسب إلى هرمز ، وهذه التعاليم قد بثت في ثماني عشرة رسالة مثلت نوعاً من الغنوصية المبكرة ، صاغها مجموعة من المؤلفين المجهولين الذين ينتمون إلى أخويات روحية تشبه إلى حد ما في تنظيمها جماعة اخوان الصفا . وكانت في هذه الرسائل (الهرمزية) مجموعة من الأفكار المؤسسة للغنوصية ،



وأهمها ثنائية البشر وانقسامهم إلى جزء مادي وآخر روحي ، إذ إنّ لجسد يمثل كل ما هو فان ومادي ومظلم بينما مثل العقل ( الذي يطابق مع الروح) كل ما هو خالد وحقيقي ونوراني ، ويمثل في النهاية الخلاص من سجن المادة ، وتجسد فعالياته في رغبة الروح إلى الانعتاق ، ودعوتها للغوص في العوالم النورانية العليا ، إلى الإله الحق الذي تدعوه هذه النصوص بالأب الكلي (السواح،٢٠١٦: ٣٣).

وإذا عدنا إلى المعنى اللغوي للغنوصية : فإن المعنى ليس عربياً ، وإنما هو ترجمة حرفية للكلمة اللاتينية Gnosticism وينطق بالسين فيقال غنوسية وينطق بالصاد غنوصية وهو مصطلح فلسفي يوناني مشتق من الأصل غنوسيس ومعناه باليونانية ((المعرفة)) ثم اتخذ المعنى الاصطلاحي له والدارس لهذا المصطلح يجد أنه دُكر له أكثر من تعريف وذلك يرجع إلى غموض الكلمة نفسها ، وتكاد تكون أبرز تعريفاتها هي :

الأول : حركة فلسفية ظهرت في أوروبا والشرق الأوسط يدعي أتباعها معرفة أسرار الطبيعة والكون وأصل البشرية ، وأنّ باستطاعة الناس انقاذ أنفسهم من الإثم بالوصول إلى المعرفة الروحية .

الثاني :هي المعرفة الباطنية لعالم ما فوق الحس.

الثالث : مذهب يقوم على أنّ العرفان Genosis هو الطريق إلى الخلاص ؛ إذ قد سقطت جزئيات من النور العلوي في سجون اللحم البشري ، فاستحق أولئك الأشخاص تلقي المعرفة بالوحي لهم .

الرابع : جماعات تتفق على القول بأن المعرفة هي الطريق إلى الله وإدراك علم السماوات والأرض والروح والمادة. (مكايوي ، ٢٠١٢ : ٥٣٩).

وقد تبنت الغنوصية حركة فلسفية دينية نشأت في العصر الهيلينستي بعد وفاة الاسكندر الأكبر (ت٣٢٣ق.م) ، والأساس الذي تقوم عليه أفكار هذه الحركة الغنوصية هو أنّ الخلاص يتم عن طريق المعرفة والحكمة أكثر مما يتم عن طريق الايمان والأعمال الخيرية ، وبهذا تكون الغنوصية اليونانية قد رجحت المشاهدة الباطنية لعالم ما فوق الحس بالكشف والفيض الإلهي - كطريقة للخلاص - على العبادات والأعمال الظاهرة ، وقد سرى تأثير هذه الفكرة إلى بعض الفرق اليهودية والمسيحية ، فتشربها كثيرون من علماء أهل الكتاب . (غريبال، ١٩٦٥ ، ج٢: ١٢٥٨) .



وقد ذكر (جيووايد نغرين) أنَّ جميع الديانات الغنوصية تعتمد عقيدة الفداء والخلاص التي تسلط الضوء على مصير الروح بعد مفارقتها الجسد وترى أنَّ الغنوصية هي أداة الخلاص ، ومعناه المعرفة أو عرفان الرب ، وهذه المعرفة ضرورية للخلاص وعلاقتها بالعقل والمنطق معدومة ؛ فهي لا تحصل من العقل ولا به ، وإنما تحصل من خلال الإلهام لداخلي ، ويرى أيضاً أنَّ لغنوصية " مصطلح عام يطلق على سلسلة عريضة من نظم التأمّلات الدينية التي تتماثل في نظرتها إلى أصل الإنسان ونهايته". (نغرين ، ١٩٨٥ : ٢٠٩-٢١٠) .

الشعر الغنوصي :

يعدّ الخطاب الغنوصي عابراً لمنطق العقل وقوانينه ، واضعاً منطقاً الخاص (المتماثل بالمنطق والخطاب العرفاني ) الذي يسير على طريقة التعبير عن الآراء والأفكار الغنوصية ، وقد ارتدت هذه الآراء والأفكار على مسار الذوق الباطني للشاعر ، فإن الشعر الغنوصي القديم لم يكن يمثل نوعاً خاصاً أو منعزلاً من الشعر فهذا النوع من الشعر يهجع في بعض الأساطير مثل أساطير الفردوس والجحيم ودورات الصعود والهبوط الميثولوجي كما حصل في هبوط عشتار وصعود تموز، وهبوط أدونيس وأورفيوس، قد كان هناك غنوص شعري في الأساطير الشعرية ولم تكن هناك نصوص شعرية غنوصية -على حد تعبير خزعل الماجدي- ، وكان هذا الغنوص الشعري متقلاً بالتفاصيل عن عوالم الفردوس والجحيم . (الماجدي ، ٢٠٠٤، ج ٢ : ١٦١) .

أما في الأدب العربي فقد كان الأدب الصوفي- ما احتواه من شطحات صوفية ونثر صوفي وشعر صوفي لشعراء مثل الحلاج والنفري - صورة من صور الغنوص الشعري العربي الإسلامي . ولاشك في أنَّ التجربة الفريدة النادرة للشاعر أبي العلاء المعري في (اللزوميات) و(سقط الزند) و(رسالة الغفران) و(كتاب الغايات والفصول) وبعض رسائله ، رسائل أبي حيان التوحيدي وبعض النصوص الإشراقية ذات الروح الشعري الغنوصي لابن عربي والسهورودي وجلال الدين الرومي... وغيرها (الماجدي ، ٢٠٠٤، ج ٢ : ١٦١) ، مثال للشعر الغنوصي .

الشاعر الغنوصي:

إنَّ الشاعر الغنوصي لا يدعي حيازة القدرات الخارقة ، إذ إن الشاعر هو أشد من غيره إحساساً بالضعف الإنساني وبحماقة العاقبة واختلاط القوى ولا طاقة له سوى طاقة الخيال والفكر، فهو كائن ضعيف هش أكلت له مهمة حل مشكلات العالم عن



طريق اللغة ، ولكنه في حقيقة الأمر لا يقوى على هذه المهمة ، هو يحاول كشف مناطق القوة والضعف والأمانى فيه ، فهو ليس كالغنوصي الذي يحسّ عن قناعة أنه جزء لا يتجزأ من الروح الإلهية وأنه العارف الوحيد بأسرار الكون. الماجدي ، ٢٠١٢، ج٤ : ٢٠) .

فالشاعر ينتشي بأحاسيسه ولكنه ، في الوقت نفسه ، يرثي مصيره ومصير البشرية معه، وعندما ينتقل بخياله إلى عوالم مختلفة فهو يدرك تماماً أنّ ذلك يتحقق في ذهنه هو فقط وعلى وفق طريقة تخيله ، ولكي يحرك أحاسيسه في مختلف الاتجاهات ؛ كي يهرب من قبضة الموت في الحياة ، (الماجدي ، ٢٠١٢، ج٤ : ٢٠ - ٢١) .

لقد كانت تجربة شعر النثر عند المتصوفين الإسلاميين محاولة للخروج على المنظومة الأخلاقية للفلسفة العربية ، كما أنها مغادرة للنظام الجمالي والبلاغي واللغوي العربي ، وقد أوثق بعض علماء الاجتماع وبعض المفكرين المتقدمين مثل (الطيب تيزيني) و (حسين مروة) و(جلال فاروق الشريف) بين التجربة الصوفية العربية "بتقسيماتها الأخلاقية والفلسفية والجمالية" ، وبين بعض الظواهر الرأسمالية .

فالتجربة الصوفية كان لها حضور كبير وشامخ في حركة الشعر الحر، يستلهمون القيم اللغوية ويستحضرون إشراقها الروحي ويفيدون من غزارتها الجمالية الكاسحة، وهو ما تجلّى عند كثير من الشعراء الرواد لحركة شعر التفعيلة (الشعر الحر) مثل أنسي الحاج وأدونيس ومحمد عفيفي مطر. (سالم ، ٢٠٠٥ : ٢٢) .

والغريب أنّ أغلب الشعراء العرب لم يتصلوا بتجربة الصوفية العربية التي كانت تجربة غنية ولها وقع كبير في تراثنا العربي الإسلامي القديم ، إلا بعد أن اكتشفها المستشرقون الغربيون ليس للعالم العربي فحسب بل للعالم أجمع ، عبر ترجمات وتحقيقات وتحليلات لمجموعة من العلماء مثل بروكلمان و نيكلسون ونلليو وماسينيون . وقد اهتم الشاعر أدونيس بهذه التحقيقات والترجمات التي قام بها العلماء المستشرقون ، وانفتح عالم واسع أمام الشعراء العرب ، صاروا يرون فيه معيناً قوياً لإبراز الخصوصية العربية ، وذلك لسعيهم الدائم نحو التجديد بمختلف أنواعه في اللغة كما في المخيلة والصور الشعرية والجمالية حتى صار قطع من (المواقف) للنفري ، ومن (مثنوي) جلال الدين الرومي ، ومن (طواسين) الحلاج ، ومن (الفتوحات المكية) لابن عربي ، منابر للعديد من الشعراء الرواد لقصيصة (التفعيلة) الشعر الحر ، انطلقوا منها : نحو القناع ،



أو نحو التماهي ، أو نحو التناصت الشعريّة ، أو نحو التقمص والاستحضار للشخصية الصوفية أو الشاهد الصوفي - شخصاً أو نصاً - للمثول في قلب العصور الراهنة. (سالم ، ٢٠٠٥ : ٢٤) .

فصارت هناك صلة قربي بين السريالية والصوفية ، ويعدّ هذه الأمر من حقائق الحركة الشعرية العربية الحديثة ، بعد الجهود المتوالية للشاعر أدونيس التي تبلورت في كتابه (الصوفية والسريالية) وقد أقام فيه عدداً من الموازيات والتناظرات بين تطلع الصوفيين العرب القدماء وتطلع السرياليين الفرنسيين المحدثين ، مشيراً إلى تأثير هؤلاء المحدثين بأولئك القدماء (سالم ، ٢٠٠٥ : ٢٦) .

وإذ استعنا بتقسيمات خزل الماجدي للشعراء نجده قد قسمهم على ثلاثة أنواع : الأول هم (شعراء العامة) وهم شعراء الجماهير الذين يرضون ذائقة الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم البسيطة ومنهم الشعراء النجوم والشعراء الشعبيون وشعراء الأغاني وشعراء الملوك وشعراء القبائل وشعراء الأنظمة السياسية وشعراء التسلية .

أما النوع الثاني من الشعراء فهم (شعراء الأدب) وهم شعراء الحرفة الأدبية والمهارات الحاذقة الذين ينتمون إلى صنف الأدباء ويتزينون بأدوات الأدب وأساليبه وهم ، عادة ، بارعون وموهوبون ، ويطورون أدوات البلاغة وأساليبهم وصناعة لغتهم ، وهم المؤثرون في حركات الأدب واتجاهاته.

أما النوع الثالث من الشعراء فهم (شعراء الخاصة) وهم الشعراء الذين يمتلكون ذوقاً خاصاً بهم ولا يأنهون كثيراً بما يطلبه الجماهير منهم ، ولا بما يطالب به الأدباء أيضاً ، بل يعكفون على مشاريعهم الشعرية الخاصة بكثير من الإخلاص والصبر والعفة ، ولا يهتمون كثيراً للحسابات الشائعة ، إنّ عدّهم البعض شعراء أم لم يعدّهم ، ولا يكثرثون إنّهم عبروا عن عصرهم أم لم يعبروا كما أنه يمتازون بأنهم يحبون الشعر لذاته فلا يرغبون بالحصول على مصلحة أو جاه أو مال ، إنهم في تصالح تام مع مشروعهم الذاتي العميق . وربما كان الشعراء الغنوصيون هم بعض من يشكل هذه المجموعة النادرة في كل زمان ومكان . (الماجدي ، ٢٠١٢ ، ج٤ : ٣٠ - ٣١) .

الغنوصية الشعرية عند أدونيس :





كانت قراءة الباحث الأولى لشعر ادونيس محبطة جداً لأنها أعطته شيئاً من الدهشة لكنها في الوقت نفسه بقيت غائمة ومشتتة بالنسبة له ويظن الباحث أنّ هذا الإحساس يراود كل من قرأ لأدونيس فهو يحتاج منا الى تفكيك شفرات كثيرة غائمة ومبهمة لمجالات صوفية وأفكار فلسفية في كثير من الأحيان ، وقد تكون انتماءاته الدينية ودراسته المعمقة للتراث الإسلامي الفلسفي الصوفي هو السبب في طبع هذا الشعر بهذا الطابع المبهم ، فضلاً عن ترجمته للشعر الغربي الذي جعله يكتب الشعر بطريقة مختلفة .

اشتغل أدونيس في الشعر الصوفي الغنوصي، لكن لمجموعته الشعرية (هذا هو اسمي) خصوصية؛ أنّ أدونيس اعطي اسمه العلوي وهو (عليّ) وهذا الاسم له من الخصوصية في هذه الطائفة؛ ذلك نراه يتحدث عن (عليّ) الذي يدمج به بين عليّ الإمام و(عليّ) الاسم الذي منح له فيقول (أدونيس، ١٩٨٨ : ١٢) :

وعليّ

يسأل الضوء ، ويمضي

حاملاً تاريخه المقتول من كوخ لكوخ :

" علموني أنّ لي بيتاً في أريحا

أنّ لي في القاهرة

إخوة ، أنّ حدود الناصرة

مكة.

بما أنّ التجربة الصوفية هي تجربة ذاتية تختلف من شاعر لآخر وتعتمد على المعرفة التي تقوم على الخيال والرمز والالهام ؛ لذا فمن المرجح أن يكون نقل هذه المعرفة قائماً على لغة أبعد ما تكون عن اللغة العادية ؛ لذا نجدهم مثلاً يفضلون استخدام اللغة الرمزية الغامضة ، التي ربما تصيب القارئ بنوع من التشظي والتشتت والابهام ، وهذا ما نراه في قصيدة أدونيس ، فهو يتحدث عن رمز ديني كبير متمثل بـ(علي) المقتول الذي يحمل تاريخه متنقلاً من بيت لآخر ومن مدينة لأخرى ، فهو يعبر المدن والبيوت ، فله بيت في أريحا ، وله أخوة في القاهرة؛ لذا لا فرق بين حدود الناصرة ومكة .



ويبدو أنّ اللغة التي تنفلت من رقابة الوعي ، تظهر طاقة ابداعية كامنة ، يقوم الوعي غالباً بإهدارها؛ ولهذا فالشعراء يميلون في صورتهم للغموض واعتمادهم في كثير من الأحيان على اللاوعي.

يقول في القصيدة نفسها (أدونيس، ١٩٨٨: ١٤) :

من أنين الشوارع من ريحها الخانقة

من بلاد يصير اسمها مقبره

وابتدى من هنا

مثلما تبدأ الفجيرة أو تولد الصاعقة

مُتّ؟ ها صرت كالرعد في رحم الصاعقة

بارئاً مثلما تبرأ الصاعقة

أنظر الآن كيف انصهرت وكيف انبعثت ، انتهيت ولم تنته

الصاعقة .

غالباً ما يشعر الشاعر الغنوصي بالغرابة في محيطه العام؛ لذا نراه يشمئز مما أصاب العالم من تعقيد وتصنع ؛ لذا فهو يصدّم القارئ ويذكره بحقيقته الفانية ، وانسحاقه بأبسط الأشياء ، فنجد الشاعر هنا ينادي قارئه من بلاد يشعر بأنها مقبرة ، خانقة ومنتنة ، وهو يعبر عن الفناء بلغة انزياحية رمزية للوصول إلى شعور مغاير لانتقاخ الذات وتمجيدها الذي أصاب الإنسان الحديث. ثم يعود في القصيدة نفسها ليقول (أدونيس، ١٩٨٨: ١٥) :

سيد أنت ؟ ستبقى

سيداً . عبدٌ ؟ ستبقى

هكذا يؤثر ، يعطيني كهفاً وأنا أطلب شمساً ،

فلماذا سقط الماضي ولم يسقط ؟



لماذا هذه الأرض التي تتسل أياماً كئيبة .

هذه الارض الرتيبة.

سيد أنت ؟ ستبقى

سيداً . عبد ؟ ستبقى

غير الصورة لكن سوف تبقى غير الراهة لكن سوف تبقى .

يستخدم الشاعر ضمير المخاطب باستفاضة ، وتكرار ضمير المخاطب يمكن عدّه محاولة لإبراز شخصية المخاطب ، ولكن يبدو أنّ هذا الأسلوب خداع جداً ، فالقارئ يفشل في تحديد الشخصية التي يخاطبها الشاعر ، فالشاعر كما الصوفي يتفقان في أنّ الواقع لا يعبر عن آمالهما؛ لذا نراه يتحدث عن رتبة هذه الأيام وكآبتها فعلى الرغم من أنه سيد فيها إلا أنه عبد في الوقت نفسه ؛ لذا نراه يلجأ إلى الخيال (غير الصورة ) ولكنه مع ذلك لا يعني ولا يسمن فهو باق على حاله في جميع الحالات ، ثم يقول (أدونيس، ١٩٨٨ : ٢٧) :

ماحيأ كل حكمة هذه ناري

لم تبقى - آية - دمي الآية

هذا بدئي

يبدأ الصوت الشعري بجمل تقريرية ، نجدها كثيراً في الأدب الغنوصي المندائي والهندي وهي-أي الجمل- تؤكد العلو الإلهي الغيبي المتجلي .فالغنوصية عقيدة خلاص ، وكل تصوراتها ومفاهيمها الكونية تتلخص في مفهوم واحد عن الانعتاق والتحرر ، ولكن الخلاص الغنوصي لن يتحقق عن طريق العبادات والطقوس الشكلية ، إذا لم تشترك مع المعرفة وتكون مقدمة له ، إنّ الصراع الجوهرى الذي يخوضه الإنسان هو صراع بين المعرفة التي تقود إلى النجاة ، وبين الجهل الذي يبقيه في دوامة الميلاد والموت ، كلما بلي جسده آل إلى الاندثار وحلت روحه في جسد آخر ، وهكذا إلى ما لا نهاية ، إن هي لم تستطيع الانعتاق ، فالحكمة القديمة المكتوبة على حائط معبد دلفي في اليونان ، التي تقول "اعرف نفسك" تتخذ أهمية كبيرة في كل النظم القائمة على المعرفة ، فلقد استعملتها الأفلاطونية وفسرتها بالقدرة على معرفة النفس الإلهية في داخل الإنسان ، وكذلك فإن



الهرمزية التي كتب في إحدى رسائلها : "إن الله الأب الذي جاء منه الإنسان هو نور وحياء ، فإذا عرفت أنه نور وحياء وأنت صدرت عنه ، فسوف تستعاد إلى الحياة مرة أخرى" (السواح ، ٢٠١٦ : ٣٦). يقول في قصيدة أخرى (أدونيس ، ١٩٨٨ : ٣٢) :

وعليّ رموه في الجب كان الجمر ثوباً له

اشتعلنا تمسكنا بأشلائه اشتعلتْ

مساء الخير يا وردة الرماد

عليّ وطن ليس لاسمه لغة ينزف نفيّاً ويثبت العشب والماء

عليّ مهاجرٌ .

يقوم الشاعر بخلط القصص المقدسة حتى ليصبح عليّ رمزاً لما هو مقدس ، مع أنّ القارئ مازال في حالة التشتت التي يضعه الشاعر بها في كل مرة ، فمن هو (علي)؟ وبقصيدة عنوانها (هذا هو اسمي) يصبح التشتت والابهام أكثر عمقاً ، لكنه الشعر يوحي ولا يقرر ، فعلي هنا ربما يكون الإنسان ، والقدسية اليوم ستكون للبراءة، للمظلوم ، لمن يرمى في الجب ثم يصبح منفيّاً وممزقاً ومهاجراً ، ثم يقول (أدونيس ، ١٩٨٨ : ٣٣) :

احتضني يا خالق التعب امنحني أراجيحك امتحني

أنا الصخرة والبحث والسؤال ولا عيدٌ ولا موقد أنا الشبح الراصد في فجوة المدينة

والناس نيام

دخلت في شرك الضوء نقيّاً كالعنف أسطع كالتيه خفيفاً

أطرافي البرق أطرافي رياحٍ منحوتةٌ

وإذا كان الشعر الغنوصي يميل إلى مزج ما هو صوفي بما هو خيالي فإنّ أدونيس بشكل خاص من الشعراء العرب الذين سلكوا هذا الاتجاه بالكتابة إذ نستطيع وصفه بأنه يمزج ما بين السريالية والصوفية. وعلى هذه العلاقة بين التصوف والسريالية



يقول راشد العيسى " وقد بدا المذهب السوربالي أقرب المذاهب الأدبية الحديثة إلى طبيعة الأدب الصوفي وفكره ؛ لما يتضمنه من رموز عالية ، تعتمد الإيحاء البعيد في مفرداتها وتراكيبها" (العيسى ، ٢٠٠٢ : ٦٤) .

الغنوصية الشعرية عند خزعل الماجدي :

كتب الشاعر خزعل الماجدي مجموعته الشعرية (خزائيل) عندما كان جندياً في حرب الثمان سنوات ، ويظن الباحث أنّ الخوف من الموت الذي كان يراه كل يوم دفعه للكتابة الغنوصية وربما كان الأجدر بمن يكتب في الشعر الغنوصي أن يكون شيخاً قد مر بحياة طويلة توصل بعدها لهذا النوع من الكتابة ، لكن الماجدي ربما ظن أنها أيامه الأخيرة لذا فقد بدأ ممّا قد ينتهي غيره ، وعليه فقد كتب عن هذه التجربة كثيراً في مقدمة الأعمال الكاملة كما في كتابه العقل الشعري ، ويجد البحث أنّ الكتابة الغنوصية هي تجل مع الذات لذا نراه يسمي مجموعته الشعرية (خزائيل) نسبة لاسمه ، ويتشارك بذلك مع أدونيس في مجموعته الشعرية (هذا هو اسمي) .

يقول الشاعر في مقدمة مجموعته الشعرية "لقد تتبعت آثار جلامش في بناء خزائيل وهكذا جعلت خزائيل الشاب يمثل السيرة الأولى التي تناظر سيرة جلامش قبل البدء في بحثه عن الخلود (حتى موت أنكيديو) ثم جعلت خزائيل الشيخ يمثل السيرة الثانية التي قدمتها الحرب وفكرة الموت والتي تناظر سيرة جلامش اثناء بحثه عن الخلود" (الماجدي ، ٢٠١٢ : ١١٧) .

يقول في إحدى قصائده (الماجدي ، ٢٠١٢ : ١١٨) :

ماذا يسرك أيها المحتشد بالمجسات والطاعن في نور الأسلحة النظيفة القابض على ساعة الصدم الناصع في أسماء الكون

؟ ماذا يسرك وأنت تسكب الطرق دلالاً يضيئ مع رجفة الرغوة المشكّلة في سقف سهرتنا البيضاء ؟

كان الوحي الغنوصي يبئ زجاجتنا ويفرك في أغصانها هجعة الفردوس... وكان رمادٌ يجفُّ على مناخرنا

وإيروس أسود يلعب بقطننا ونجومنا ، وكان بينك وبينني تخمراتٌ خضراء لا تحصى .. فلم هيّجت فيه هبوب العناصر وشيحتها

وتهدأها والتفأفأها فوق سقوف القرميد ؟

ولم نذكر كل هذا بأخيك الملفوف بقماش كالحليب وهو يُسجى على تراب النجف وحوله النادبات يهلع التراب على راياته

الخافقة .



يكتب الشاعر قصيدته وهو واعي جداً لما يكتب ، على الرغم من أنه ينفي ذلك عندما يقول " عندما كتبت خزائيل لم أكن أضع مخططاً غنوصياً شعرياً معي مع أنني كنت أميل إلى الغنوصية عامة على الرغم من قلة مرجعياتها وكنت مأخوذاً بالأساطير القديمة التي فتحت لي الباب نحو الغنوصية عندما اتصلت بالفلسفة . كان مشروعني الأول في بناء (الغنوص الشعري) الذي كنت قد حلمت به فقد أزاح فكرة أنّ الشعر هو طريقة كاملة للنظر إلى العالم ، أنه (أي الشعر) نوع من الدين لكنه بالتأكيد ليس بديلاً عن الدين ، ولكنه أيضاً ليس نوعاً من الأدب في جميع الأحوال" (الماجدي ، ٢٠٠٤ ، ج٢ : ١٦١) .

فأجواء الحرب المتمثلة بالموت اليومي المجاني كانت حاضرة وبشدة في قصائده، فعلى الرغم من أنه يؤكد عدم استخدامه للسلاح بقوله ( الأسلحة النظيفة) ، إلا أنّ عدم استخدامك للسلاح لا يمنع الموت عن إختوك ، الذي يصفه (أخيك الملفوف بقماش كالحليب) الذي تكون نهايته انهيار تراب النجف على جتته وحوله نادبات يهلعن التراب على راياته الخفاقة ، وهذه العبارة بالذات (الرايات الخفاقة) ربما كانت تهكماً عما كانت توصف به الحرب آنذاك بأنها ستبقي الرايات خفاقة وعالية . يقول (الماجدي ، ٢٠١٢ ، ج٤ : ١١٩):

يا ملاذي و يا فم المدفع الذي سأدهنه بينما يطلق الجنود باروده ، يا رهينة الجمال المزود بنقوشٍ غامضةٍ في دماغك وسرّتك .

غبش يشقّ الموسيقى

وبرق يثير في الريق معادن العقل.

الشعر هنا كان الخلاص ، الخلاص من الواقع فعقل الشاعر وأحاسيسه وكيانه لها طرقها في الهروب ، فهذا الهروب من روح الحرب النتنة والهيام بخيالات أخرى جعلت الشاعر يفكر بالحب وبالجمال وهو يلتم فم المدفع بقذيفة ، بينما خياله مشبع بصور حسية وموسيقى .

يقول الماجدي "ربما يكون (خزائيل نصاً شعرياً ينتمي ، اجرائياً إلى السيرة الشعرية أو النص المفتوح ، لكنه شكلاً ومضموناً شعر غنوصي تشكل فيه رحلة الخلاص والمستوى الداخلي ودورات الصعود والهبوط للروح والنفس وإيقاعاً متواصل لا ينقطع منذ بداية النص حتى نهايته ، بل أن النص بأكمله عبارة عن دورة واحدة كبرى تخوض فيها الذات الشاعرة رحلة في الزمان



والمكان للوصول إلى أقصى نقاط المستوى الضمني للنفس والكون التي وصل إليها الشاعر" (الماجدي ، ٢٠٠٤ ، ج٢ : ١٦٥)

ثم يقول في قصيدة أخرى (الماجدي، ٢٠١٢، ج٤: ١٢٠) :

...

كيف سأرتب هزيمتي أمام الموت وكيف سأعلن رحيلي

إنني ضجرٌ من منفاي ومن شظايا خلودي..

ضجرٌ من تشبثي ..ضجرٌ من أرضي ..ضجرٌ من سمائي.

يعكس الشاعر ضجره من الحياة ورغبته في الموت لأنه ببساطة قد ملّ هذا التشبث في الحياة الذي يدفعه إليه تماسه المباشر بالموت ، وربما هي رغبة غنوصية بالخلاص من الجسد وانعتاق الروح ، فعلى عكس البعث الذي تبشر به الأديان السماوية فإن البعث الذي بشرت به الغنوصية هو بعث الوجدان إنّه خلاص من الجسد الفاني ومن العالم في آن معاً ، لا من الذنوب والخطايا فقط ، وإن كان هناك مفهوم عن الخطيئة في العقيدة الغنوصية ، فإنّ وعي الإنسان للقبس الإلهي في داخله ، وبعثه العارم عن الوحدة المفقودة ، مع انبعاث الوعي تضع الروح في أول خطواتها نحو رحلة خلاصها وانعتاقها ، ويصبح الموت بوابة تؤدي إلى العالم الروحاني الأعلى (السواح ، ٢٠١٦ : ٣٦).

في نص (عبادة الجمال المتصلة ) يقول (الماجدي، ٢٠١٢، ج٤: ١٣٠) :

نَمْ ..أيها المبحّل ..نَمْ ولا عليك ، واصطبر على أديمك ودع حورياتك ينزعنَ عنك قميصك ، وأغرق بعدها في أعماق مياهك حتى يقدّم الفجر ليحدّ من الأمواج التي تسربت في دمك من عبادة الجمال المتصلة .

ماذا تقولُ والملائكةُ تقطعُ علينا ثقل الليل وتحكي عنك

ماذا تقول؟ ..



يستمر الشاعر بالهروب من واقعة الحرب إلى خيالات التجلي التي أغرق نفسه بها ، فالرغبة بالنوم هي رغبة أخرى بالخلاص في التخلص من الوعي والغوص في عوالم اللاوعي بالنوم مرة أو بالموت مرة أخرى ، فهو مصطبر على جسده الفاني مع رغبة عارمة بالانعتاق والغرق في عوالم الحوريات وعبادة الجمال . ثم يقول في قصيدة أخرى (الماجدي ، ٢٠١٢ ، ج٤ : ١٣٨):

ها هو نَدُّكَ القوي يا خزائيل

يمضي في غنائِهِ ويحرضُ الطبيعةَ

ونواميسها وأنت تتسحبُ

نحو حقيقة ترفُّ على أهدابك

قد تتكون لدى الشاعر الغنوصي شخصيات عديدة ، فالشاعر هنا يخاطب (خزائيل) محرضاً إياه على نده القوي (الشخصية الثالثة) ، مقارناً بين قوة هذا الند وتحريضه لنواميس الطبيعة ، بينما (خزائيل) ينسحب نحو الحقيقة ويزهد من ترف الحياة ، فالشاعر يخاطب ذاته الأخرى الزاهدة المتخلية عن كل ما يدينها من رغبات دنيوية، قد تكون الرغبة بالتشبث في الحياة واحدة من هذه الرغبات ، التي يصارعها الشاعر وهو عالق في فم الموت بحرب لا ينتمي لها وهو كائن مفعم بالحساسية .

ثم يقول في نص (وتلفُّ خوف أن يراني أحد) (الماجدي ، ٢٠١٢ ، ج٤ : ١٤٥) :

لقد رأيت البياض ينسكب في عروقك ورأيت الطين يتفتح لكلامك .. فغنَّ أيها الشريد.. واطلق من خمير الذهب ، في حنجرتك الغناء زكياً مقدساً واسفح بأغانيك الكروم .. وتريت قليلاً لتتظر الأحجار تسقط من تلك المحاجن السماوية .

قد تبدو لنا اللغة التي يكتب بها الشاعر لغة قديمة فيها زخم في الكلمات والعبارات ، بعيدة عن اللغة النثرية الواضحة والتقريرية ، وفيها من الزخم العاطفي والروحي الشيء الكثير ، فهي تحتاج منا تأويل المستوى الباطن للنص والبعد عن التفسير الحرفي القريب ، فالعنوان ربما يحيلنا إلى رغبة الشاعر بالانمحاء والخوف من الآخرين ، وقد يحيلنا هذا مرة إلى أنه في حرب ولا يريد أن يراه أحد فيقتله ، ومرة أخرى إلى أنه ينظر للحياة بطريقة أخرى مختلفة عن الآخرين ، فهو يرى البياض ينسكب من عروقه ، ويرى الطين يتفتح لكلامه ، وهو في انتظار الأحجار التي تسقط من المحاجن السماوية .





أهم ما توصل إليه البحث :

هناك نقاط عدة توصل لها البحث يمكن إجمالها بالآتي :

١- الغنوصية هي حركة فلسفية ظهرت في أوروبا والشرق الأوسط يدعي أتباعها معرفة أسرار الطبيعة والكون وأصل البشرية ، وأنَّ باستطاعة الناس انقاذ أنفسهم من الإثم بالوصول إلى المعرفة الروحية .

٢- إن الحركات الغنوصية عادت إلى الظهور ؛ وتأثر العديد من الشعراء بالشعر الغنوصي، قد يكون هذا بسبب الانتماء الديني أو بسبب دراسة معمقة ، وهذا ما يلاحظه البحث في تأثر كل من الشاعرين أدونيس وخرزل الماجدي .

٣- الغنوصية مذهب واسع لا يقوم على أيديولوجيا دينية، وتعاليمه تكاد أن تكون مبنوثة في مجموعة من الرسائل التي مثلت بواكير الغنوصية ، وقد نسجها على ما يبدو عدد من المؤلفين المجهولين الذين ربما كانوا ينتمون إلى نوع من الاخويات الروحية

٤- الأدب الصوفي بما احتواه من شطحات صوفية ونثر صوفي وشعر صوفي لشعراء مثل الحلاج والنفري يمثل صورة من صور الغنوص الشعري العربي الإسلامي .

٥- إن الكتابة الغنوصية هي تجلٍ مع الذات ؛ لذا نرى أدونيس يعنون مجموعته الشعرية بـ(هذا هو اسمي) ، ويسمي خرزل الماجدي مجموعته الشعرية (خرزائل) نسبة لاسمه أيضاً .

٦- يبدو أنَّ اللغة التي تتفقت من رقابة الوعي ، تظهر طاقة ابداعية كامنة ، يقوم الوعي غالباً بإهدارها ؛ ولهذا فالشعراء يميلون في صورهم للغموض واعتمادهم في كثير من الأحيان على اللاوعي .

٧- تصبح كتابة الشعر الغنوصي محاولة للخلاص من الواقع، فعقل الشاعر وأحاسيسه يجدان طرقهما في الهروب ، الهروب من الغربية مرة (أدونيس) والهروب من نتانة الحرب مرة أخرى (الماجدي) ، فالشاعران يعيشان نوعاً من الهيام في خيالات أخرى تبعدهما عن الواقع القاسي .

المصادر والمراجع :



- أدونيس. (١٩٨٨). هذا هو اسمي . دار الآداب للنشر والتوزيع . بيروت - لبنان .
- سالم ، حلمي .(٢٠٠٥). حركة الشعر العربي الحديث ..النشأة . مهرجان القرين الثقافي الثاني عشر .المجلس الوطني للثقافة .الكويت
- السواح ، فراس .(٢٠١٦) .طريق اخوان الصفا ، المدخل إلى الغنوصية الإسلامية .ط٣. دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق - سوريا .
- العيسى ، راشد .(٢٠٠٢).الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر .وزارة الثقافة . عمان - الأردن .
- غربال ، محمد شفيق(١٩٦٥) . الموسوعة العربية الميسرة . ط١. دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .القاهرة- مصر .
- الغويل ،عبد الله عبد الرحمن .(٢٠١٥) . التوظيف الصوفي في الشعر العربي الحديث . المجلة العلمية لكلية التربية - العدد الرابع .جامعة مصراتة- ليبيا .
- الماجدي ، خزعل (٢٠٠٤) العقل الشعري (الكتاب الثاني) . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد - العراق .
- الماجدي ، خزعل (٢٠١٢) . خزائيل/ الجزء الرابع .المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت- لبنان
- ملكاوي ، محمد أحمد محمد.(٢٠١٢).الغنوصية نشأتها وصلتها بالفلسفة اليونانية .مجلة كلية دار العلوم . مصر .
- نغرين ، جيواويد .(١٩٨٥) .ماني والمانوية . ت: سهيل زكار . ط١. دار حسان للطباعة والنشر .

#### References:

- Adonis. (1988). this is my name . Dar Al-Adab for publication and distribution. Beirut, Lebanon.
- Al-Ghawil, Abdullah Abdul-Rahman. (2015). Sufi employment in modern Arabic poetry. The Scientific Journal of the College of Education – Fourth Issue. University of Misurata – Libya.



- Al-Issa, Rashid. (2002). The Sufi Speech in Contemporary Poetry. The Ministry of Culture. Oman Jordan.
- Al-Majidi, Khazal (2004) The poetic mind (the second book). House of General Cultural Affairs. Baghdad, Iraq.
- Al-Majidi, Khazal (2012). Khaza'el/ Part IV. The Arab Foundation for Studies and Publishing. Beirut, Lebanon.
- Al-Sawah, Firas. (2016). The Path of the Safa Brothers, Introduction to Islamic Gnosticism, 3rd Edition. Dar Al-Takween for writing, translation and publishing, Damascus – Syria.
- Ghorbal, Muhammad Shafiq (1965). The Facilitated Arabic Encyclopedia, 1st Edition. Dar Al-Qalam and Franklin Foundation for Printing and Publishing. Cairo, Egypt.
- Malkawi, Muhammad Ahmad Muhammad. (2012). Gnosticism: Its Origin and Relationship to Greek Philosophy. Journal of Dar Al Uloom College. Egypt.
- Negrin, Jewed. (1985). Mani and Manichaeism. T: Sohail Zakar, 1st floor. Dar Hassan for printing and publishing>
- Salem, Helmy (2005). The Modern Arab Poetry Movement.. Origin. The 12th Qurain Cultural Festival. The National Council of Culture. Kuwait.